Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

الأوضاع الاقتصادية في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي من خلال رحلة التجاني: دراسة تاريخية تحليلية

فتحي أبوالقاسم الخذراوي

قسم الدراسات السياحية – كلية الآداب – جامعة الزاوية

f.alkhadrawi@zu.edu.ly

Economic Conditions in the Tripoli Region during the 8th Century AH/14th Century AD as Reflected in the Journey of al-Tijani: An Analytical Historical Study

Fathi Abu al-Qasim al-Khadrawi
Department of Tourism Studies – Faculty of Arts – University of Zawiya

تاريخ الاستلام:2026/01/03 –تاريخ المراجعة: 2026/01/21– تاريخ القبول: 2026/01/30– تاريخ للنشر:2026/02/22

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الأوضاع الاقتصادية في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، من خلال قراءة تحليلية نقدية لرحلة التجاني وربطها بالمصادر الجغرافية والتاريخية المعاصرة لها. وتناولت الدراسة محددات البنية الاقتصادية، وفي مقدمتها الموقع الجغرافي للإقليم بوصفه حلقة وصل بين المجال المتوسطي والمجال الصحراوي، وما ترتب على ذلك من ازدهار التجارة البرية والبحرية. كما عالجت تنوع الأنشطة الإنتاجية بين الزراعة والرعي والحرف، ودور الموارد الطبيعية، خاصة المياه والسبخات، في دعم الاستقرار الاقتصادي. وتوقفت الدراسة عند دور الأسواق وطرق القوافل والموانئ في تنظيم التبادل وربط الإقليم بشبكات التجارة الإقليمية والدولية، مع إبراز أثر الأوضاع السياسية والأمنية في ازدهار النشاط الاقتصادي أو تراجعه. وخلصت الدراسة إلى أن اقتصاد إقليم طرابلس في العصر الوسيط اتسم بالتنوع والمرونة والتكامل بين المدينة والبادية، وأن رحلة التجاني تمثل مصدرًا أساسًا لفهم هذا الواقع الاقتصادي، مع ضرورة قراءتها قراءة نقدية مقارنة.

الكلمات المفتاحية: إقليم طرابلس، رحلة التجاني، التاريخ الاقتصادي، التجارة الصحراوية، الأسواق، القوافل، العصر الوسيط.

Abstract

This study aims to analyze the economic conditions of the Tripoli region during the 8th Hijri/14th century through a critical analytical reading of al-Tijānī's travel account in comparison with contemporary geographical and historical sources. The study examines the main determinants of the regional economic structure, particularly the strategic geographical location of Tripoli as a link between the Mediterranean world and the Saharan interior, which contributed to the prosperity of both land and maritime trade. It also addresses the diversity of productive activities, including agriculture, pastoralism, and handicrafts, and highlights the role of natural resources, especially water and salt flats, in supporting economic stability. The study further analyzes the role of markets, caravan routes, and ports in organizing exchange and integrating the region into wider trade networks, while emphasizing the impact of political and security conditions on economic prosperity or decline. The study concludes that the economy of Tripoli in the medieval period was characterized by diversity, flexibility, and integration between urban and rural areas, and that al-Tijānī's account represents a fundamental source for understanding this economic reality, provided it is read critically and comparatively.

Keywords: Tripoli region, al-Tijānī's travel account, economic history, Saharan trade, markets, caravan routes, medieval period.

المقدمة

يشـكّل إقليم طرابلس أحد الأقاليم المغاربية ذات الأهمية الجغرافية والاقتصـادية منذ العصـور الوسـطى، بحكم موقعه الاسـتراتيجي على السـاحل الجنوبي للبحر المتوسـط، ووقوعه في ملتقى طرق القوافل بين شـمال إفريقيا وعمق الصحراء الكبرى، الأمر الذي جعله مركزًا للتبادل التجاري وحلقة وصل بين المجالين المتوسطي والصحراوي[1]. وقد أسهم هذا الموقع في إدماج الإقليم داخل شـبكة واسـعة من المبادلات التجارية شـملت المنتجات الزراعية والحيوانية، والسـلع الصحراوية، والصناعات الحرفية، إضافة إلى علاقاته التجارية مع المدن المتوسطية [2].

وتُعدّ المصـادر الجغرافية والرحلية من أهم الشـواهد التي نقلت صـورة مباشـرة عن الواقع الاقتصـادي للأقاليم الإسـلامية، وفي مقدمتها رحلة التجاني في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، التي تمثل شـهادة معاصـرة سـجّل فيها الرحالة ملاحظاته حول المدن والأنشطة الاقتصادية، وأنماط العيش، وحركة القوافل، والأسواق، ومسالك التجارة [3]. وتكتسب هذه الرحلة أهميتها من كونها تنقل الواقع كما شاهده الرحالة ميدانيًا، بعيدًا عن الطابع الرسمي للمصادر السياسية أو الإدارية [4].

وتبرز أهمية دراسـة الأوضـاع الاقتصـادية في إقليم طرابلس من خلال رحلة التجاني في كونها تتيح إعادة بناء صورة متكاملة للبنية الاقتصادية في مرحلة تاريخية اتسمت بتقلبات سياسية وأمنية، وتأثرت بعوامل داخلية وخارجية، مثل الصراعات المحلية، والهجرات القبلية، والاعتداءات الصليبية، والتحولات في طرق التجارة الدولية [5]. كما تبرز هذه الدراسة دينامية العلاقة بين المدينة والبادية، ودور الأسواق والموانئ في تنشيط الحركة الاقتصادية، وربط الإقليم بمحيطه المغاربي والمتوسطي [6].

وعليه، تسـعى هذه الدراسـة إلى تحليل المادة الاقتصـادية الواردة في رحلة التجاني عن إقليم طرابلس، في ضـوء المعطيات التاريخية والجغرافية، من أجل الكشـف عن ملامح البنية الاقتصـادية للإقليم خلال القرن الثامن الهجري، وإبراز طبيعة الأنشطة الإنتاجية والتجارية، وآليات تنظيمها، ومدى تأثرها بالعوامل السياسية والبيئية.

مشكلة البحث

على الرغم من الأهمية الجغرافية والاقتصادية التي تمتع بها إقليم طرابلس خلال العصور الوسطى، وما لعبه من دور محوري في حركة التجارة العابرة للصـحراء وفي التبادل المتوسـطي، فإن الدراسـات التي تناولت تاريخه الاقتصـادي ما تزال محدودة ومجزأة، وغالبًا ما ركّزت على الجوانب السـياسـية والعسـكرية على حسـاب تحليل البنية الاقتصـادية وأنماط الإنتاج والتبادل والأسواق [7]. كما أن كثيرًا من هذه الدراسات اعتمدت على المصـادر السياسية أو الحوليات العامة، دون استثمار كافٍ للمصادر الجغرافية والرحلية التي تقدّم صورة أكثر قربًا من الواقع الاجتماعي والاقتصادي المعاش [8].

وتُعد رحلة التجاني من أهم هذه المصادر الرحلية التي وثّقت بدقة أوضاع إقليم طرابلس في القرن الثامن الهجري، من حيث وصف المدن والقرى، والأنشطة الزراعية والرعوية، والحرف والصـناعات، والأسواق، ومسالك القوافل، ومصـادر المياه، ودور القبائل في تنظيم الحركة الاقتصـادية [9]. غير أن هذه الرحلة — على أهميتها — لم تحظَ بالقدر الكافي من الدراسة التحليلية المتخصصة التي تعيد قراءتها قراءة اقتصادية منهجية، وتستخرج منها معطيات كمية ونوعية حول طبيعة الاقتصاد الإقليمي وبنيته الداخلية وعلاقاته الخارجية [10].

كما أن بعض الأحكام التي أوردها التجاني حول ضـعف الزراعة أو اعتماد سـكان طرابلس على التجارة البحرية وحدها، تحتاج إلى إعادة فحص نقدي ومقارنة بمصادر أخرى، مثل كتابات البكري وابن حوقل والإدريسي وابن خلدون، من أجل التحقق من مدى عموم هذه الأحكام أو ارتباطها بظروف زمنية استثنائية مثل سنوات القحط أو الاضطرابات السياسية

[11]. ومن هنا تبرز الحاجة إلى دراسة علمية تقوم على تحليل نص رحلة التجاني في ضوء المعطيات الجغرافية والتاريخية، وربطها ببقية المصادر، للكشف عن الصورة الأكثر توازنًا للبنية الاقتصادية لإقليم طرابلس.

وعليه تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

- **إلى أي حد تعكس رحلة التجاني حقيقة الأوضاع الاقتصادية في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي؟ وما هي ملامح البنية الاقتصادية التي يمكن استخلاصها من خلال تحليلها ومقارنتها بالمصادر المعاصرة الأخرى؟**

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس عدد من الأسئلة الفرعية:

1. ما طبيعة الأنشطة الإنتاجية (الزراعية، الرعوية، الحرفية) في إقليم طرابلس كما وصفها التجاني؟
2. ما دور المدن والقبائل والأسواق في تشكيل شبكات التبادل التجاري؟
3. ما أثر العوامل السياسية والأمنية والبيئية في استقرار أو اضطراب النشاط الاقتصادي؟
4. إلى أي مدى تتفق أو تختلف معطيات التجاني مع ما أورده الجغرافيون والمؤرخون المعاصرون له؟

أهمية الدراسة

أولًا: الأهمية العلمية

تتمثل الأهمية العلمية لهذه الدراسة في كونها تسهم في سد فجوة بحثية في مجال التاريخ الاقتصادي لإقليم طرابلس خلال العصور الوسطى، من خلال إعادة قراءة رحلة التجاني قراءة تحليلية اقتصادية، وربطها بالمصادر الجغرافية والتاريخية المعاصرة لها، بما يسمح بإعادة بناء صورة أكثر دقة وتوازنًا للبنية الاقتصادية الإقليمية، بعيدًا عن الاقتصار على السرد السياسي أو الحولي.

كما ترفد الدراسة حقل التاريخ الاقتصادي والجغرافيا التاريخية بنموذج تطبيقي لتحليل النصوص الرحلية بوصفها مصادر اقتصادية، وليس فقط مصادر وصفية، مما يفتح المجال أمام توظيف هذا النوع من المصادر في دراسات مشابهة لأقاليم أخرى في بلاد المغرب الإسلامي.

ثانيًا: الأهمية التطبيقية

تتجلى الأهمية التطبيقية للدراسة في إبرازها للجذور التاريخية للوظيفة الاقتصادية لإقليم طرابلس بوصفه مجالًا للربط بين الساحل والصحراء، وهو ما يساعد على فهم الامتدادات التاريخية لبعض الأنماط الاقتصادية المعاصرة، مثل دور الموانئ والأسواق وشبكات النقل.

كما يمكن أن تفيد نتائج الدراسة الباحثين وصنّاع القرار في مجالات التخطيط الإقليمي والتنمية الثقافية والتراثية، من خلال توضيح الدور التاريخي للمدن والطرق والأسواق في تشكيل المجال الاقتصادي، بما يعزز الوعي بقيمة هذا التراث في صياغة سياسات التنمية والحفاظ على الهوية التاريخية.

أهداف الدراسة

ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تحليل المادة الاقتصادية الواردة في رحلة التجاني المتعلقة بإقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري.
2. تحديد طبيعة الأنشطة الإنتاجية في الإقليم (الزراعية، الرعوية، الحرفية) كما وصفها التجاني.
3. إبراز دور المدن والأسواق والقبائل في تنظيم شبكات التبادل التجاري داخليًا وإقليميًا.
4. الكشف عن أثر العوامل السياسية والأمنية والبيئية في استقرار أو اضطراب النشاط الاقتصادي.
5. مقارنة معطيات التجاني بما ورد عند الجغرافيين والمؤرخين المعاصرين له للتحقق من درجة دقتها وتمثيليتها.

6. إعادة بناء ملامح البنية الاقتصادية لإقليم طرابلس في ضوء التحليل النصي والمقارن للمصادر.

حدود الدراسة

أولًا: الحدود الزمانية

تقتصـــر الدراســـة زمنيًا على القرن الثامن الهجري/الرابع عشـــر الميلادي، وهو الإطار الزمني الذي عاش فيه الرحالة عبدالله بن محمد التجاني، والذي دوّن فيه رحلته ووصفه لإقليم طرابلس، مع الاستعانة أحيانًا بالمصادر السابقة أو اللاحقة له في حدود ما يخدم المقارنة والتحقق من المعطيات.

ثانيًا: الحدود المكانية

تنحصر الدراسة مكانيًا في إقليم طرابلس التاريخي، كما ورد في المصادر الجغرافية الوسيطة، ويشمل ذلك مدينة طرابلس وضواحيها، والمجالات الريفية والبدوية التابعة لها، ومسالك القوافل والأسواق والمراسي المرتبطة بها، دون التوسع في بقية أقاليم إفريقية أو برقة إلا في حدود الربط التفسيري.

ثالثًا: الحدود الموضوعية

تقتصر الدراسة موضوعيًا على تحليل الأوضاع الاقتصادية لإقليم طرابلس من خلال رحلة التجاني، وتشمل ذلك: الأنشـــطة الإنتاجية (الزراعة، الرعي، الحرف)، والتجارة والأســـواق، وطرق القوافل، ومصـــادر المياه، والعوامل المؤثرة في النشاط الاقتصادي، دون الخوض التفصيلي في الجوانب السياسية أو الثقافية إلا بقدر ما يؤثر في المجال الاقتصادي.

المنهج المتبع في الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي بوصفه الإطار المنهجي الأساس، من خلال تتبع النصوص الواردة في رحلة التجاني المتعلقة بإقليم طرابلس، وتحليلها في ســـياقها الزمني والجغرافي، وربطها بالظروف الســـياســـية والاقتصادية التي سادت في تلك المرحلة.

كما تم توظيف المنهج الوصـــفي في عرض المادة الرحلية كما وردت عند التجاني، من حيث وصـــف المدن، والأنشطة الاقتصادية، والأسواق، ومسالك القوافل، ثم إخضاعها للتحليل والنقد والمقارنة.

واعتمدت الدراســـة كذلك على المنهج المقارن من خلال مقابلة معطيات التجاني بما أورده الجغرافيون والمؤرخون المعاصرون له، مثل البكري وابن حوقل والإدريسي وابن خلدون، بهدف التحقق من درجة الدقة والتمثيل، والكشف عن نقاط الاتفاق والاختلاف بين الروايات المختلفة.

ويهدف هذا التكامل المنهجي إلى الوصول إلى قراءة أكثر توازنًا وموضوعية للبنية الاقتصادية لإقليم طرابلس في العصر الوسيط، تجمع بين الوصف والتحليل والنقد والمقارنة في إطار تاريخي شامل.

الدراسات السابقة:

تناولت دراسة محمد حسن (1999) المعنونة بـــ *المدينة والبادية في إفريقية في العصر الحفصي* العلاقة بين المجالين الحضـــري والبدوي من منظور تاريخي تحليلي، حيث أبرزت تداخل الأنشـــطة الاقتصـــادية بين المدن والبوادي، خاصة في مجالات الزراعة والرعي والتبادل التجاري، وأكدت أن هذا التداخل كان عنصرًا أساسياً في استقرار المجتمعات المغاربية في العصـــر الحفصـــي. غير أن هذه الدراســـة جاءت في إطار إفريقية عامة، ولم تفرد إقليم طرابلس بالدراســـة المستقلة، كما لم تعتمد على رحلة التجاني كمصدر مباشر للتحليل الاقتصادي.

وفي دراسة علي سميو الموسومة بـــ «التجارة والأسواق في إقليمي برقة وطرابلس»، ركّز الباحث على تطور الأســـواق ومراكز التبادل التجاري في الإقليمين، مبرزًا الدور المحوري الذي لعبته مدينة طرابلس في الربط بين التجارة

الصحراوية والتجارة المتوسطية. إلا أن هذه الدراسة اقتصرت على الجانب التجاري دون التوسع في تحليل بقية عناصر البنية الاقتصادية مثل الزراعة والحرف والموارد الطبيعية.

أما دراسة مريم محمد جبودة (2013) بعنوان *التجارة في إفريقية وطرابلس خلال العصرين الموحدي والحفصي*، فقد تناولت شبكات التجارة والمسالك والسلع المتبادلة، وأظهرت أهمية طرابلس بوصفها عقدة تجارية بين الشمال والجنوب. ومع ذلك، ظل تركيزها منصبًا على التجارة وحدها، دون تقديم تحليل متكامل للبنية الاقتصادية الإقليمية، ودون توظيف رحلة التجاني بوصفها إطارًا تحليليًا رئيسًا.

وقدّم عبداللطيف البرغوثي (1972) في كتابه *تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح حتى بداية العهد العثماني* عرضًا تاريخيًا عامًا للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ليبيا، وأشار إلى فترات ازدهار طرابلس وتراجعها عبر العصور، غير أن عرضه بقي إجماليًا، ولم يتناول تفصيلًا مكونات الاقتصاد في القرن الثامن الهجري، ولا خصوصية إقليم طرابلس في تلك المرحلة.

وفي سياق آخر، ركّز حسن حسني عبدالوهاب (1973) في كتابه *ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية* على إبراز قيمة الرحلات والمصادر الجغرافية في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي، وعدّ رحلة التجاني من المصادر المهمة لفهم الحياة الاجتماعية والحضارية. غير أن تناوله بقي في إطار ثقافي عام، ولم يقدّم قراءة اقتصادية متخصصة للنص الرحلي أو لإقليم طرابلس تحديدًا.

كما تناول كراتشكوفسكي (1963) في كتابه *تاريخ الأدب الجغرافي العربي* تطور الكتابات الجغرافية والرحلية عند المسلمين، وبيّن أهميتها في الكشف عن أوضاع المجتمعات الإسلامية، إلا أن دراسته اتخذت طابعًا أدبيًا وفكريًا، ولم تُوظَّف الرحلات فيها بوصفها مصادر لتحليل البنى الاقتصادية والاجتماعية على نحو تطبيقي.

ويُستخلص من مجموع هذه الدراسات أن الاهتمام انصب إما على التجارة والأسواق، أو على العلاقة بين المدينة والبادية، أو على العرض التاريخي العام، دون تخصيص دراسة مستقلة لتحليل الأوضاع الاقتصادية لإقليم طرابلس في القرن الثامن الهجري من خلال رحلة التجاني بوصفها مصدرًا أساسًا، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته.

تقسيمات الدراسة

المبحث الأول: السياق الجغرافي والتاريخي لتشكل الأوضاع الاقتصادية في إقليم طرابلس.

المطلب الأول: الموقع الجغرافي لإقليم طرابلس وأثره في النشاط الاقتصادي.

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية والأمنية في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري وانعكاسها على الاقتصاد.

المبحث الثاني: البنية الاقتصادية لإقليم طرابلس من خلال رحلة التجاني

المطلب الأول: الأنشطة الإنتاجية في إقليم طرابلس (الزراعة، الرعي، الحرف).

المطلب الثاني: الموارد الطبيعية ومصادر المياه وعلاقتها بالاستقرار الاقتصادي.

المبحث الثالث: التجارة والأسواق وطرق القوافل في إقليم طرابلس

المطلب الأول: الأسواق والمراكز التجارية ودورها في تنظيم التبادل الاقتصادي.

المطلب الثاني: طرق القوافل والموانئ والمراسي ودورها في ربط الإقليم بمحيطه.

الخاتمة العامة

تلخيص النتائج العامة للدراسة واستنتاجاتها في ضوء تساؤلات البحث.

النتائج

عرض النتائج الرئيسة التي توصلت إليها الدراسة بشكل منظم.

المبحث الأول: الإطار العام لإقليم طرابلس في عصر التجاني

يمثل فهم الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم طرابلس مدخلًا أساسيًا لتحليل أوضاعه الاقتصادية خلال القرن الثامن الهجري، إذ إن طبيعة الموقع الجغرافي، وخصائص المجال الطبيعي، والأوضاع السياسية السائدة، كلها عناصر أسهمت في تشكيل البنية الاقتصادية للإقليم، وفي تحديد أنماط الإنتاج والتبادل والاستقرار أو الاضطراب الاقتصادي. فلا يمكن دراسة النشاط الاقتصادي بمعزل عن المجال الذي يحتضنه، ولا عن الظروف التاريخية التي تؤطر حركته وتفاعلاته.

وقد تمتع إقليم طرابلس بموقع استراتيجي على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، جعله نقطة التقاء بين المجال البحري المتوسطي والمجال الصحراوي الإفريقي، ومحطة رئيسة للقوافل التجارية القادمة من بلاد السودان والمتجهة نحو مدن الشمال، وهو ما منحه وظيفة اقتصادية مزدوجة، تجمع بين التجارة البحرية والتجارة البرية الصحراوية. كما أن تنوع بيئته الطبيعية بين السهل الساحلي، والواحات، والمجالات الرعوية، أتاح قيام أنشطة اقتصادية متعددة، شملت الزراعة والرعي والحرف والتجارة.

أما على المستوى التاريخي، فقد عرف الإقليم خلال القرن الثامن الهجري أوضاعًا سياسية وأمنية متقلبة، بين فترات استقرار نسبي في ظل الدولة الحفصية، وفترات اضطراب بسبب الصراعات الداخلية، والهجرات القبلية، والاعتداءات الخارجية، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على النشاط الاقتصادي، ازدهارًا أو تراجعًا. ومن ثم فإن هذا المبحث يهدف إلى إبراز الإطار العام الذي تشكلت داخله الأوضاع الاقتصادية لإقليم طرابلس في عصر التجاني، من خلال الوقوف على محدداته الجغرافية والتاريخية، تمهيدًا للانتقال إلى تحليل مكونات البنية الاقتصادية في المباحث اللاحقة.

المطلب الأول: الموقع الجغرافي لإقليم طرابلس وأثره في النشاط الاقتصادي

يمثل الموقع الجغرافي أحد أهم المحددات البنيوية التي تتحكم في طبيعة النشاط الاقتصادي لأي إقليم، إذ يحدد نوع الموارد المتاحة، وشبكات الاتصال، وأنماط التبادل، واتجاهات الحركة التجارية. وقد كان لموقع إقليم طرابلس دور محوري في صياغة وظائفه الاقتصادية، وفي تحويله إلى مجال وسيط بين البحر والصحراء، وبين الشمال المتوسطي والجنوب الإفريقي، الأمر الذي انعكس بوضوح على بنيته الاقتصادية خلال العصر الوسيط.

أولًا: طرابلس حلقة وصل بين المجال المتوسطي والمجال الصحراوي

تميّز إقليم طرابلس بكونه يقع في نقطة تماس بين العالم المتوسطي الساحلي والعالم الصحراوي الداخلي، وهو ما جعله محطة رئيسة لمرور القوافل القادمة من بلاد السودان والمتجهة نحو مدن الشمال، وكذلك منفذًا لتصريف السلع الإفريقية عبر الموانئ المتوسطية. وقد أشار الجغرافيون المسلمون إلى أن طرابلس كانت على الجادة الكبرى التي تربط بين الشرق والغرب، وبين الداخل والساحل، مما جعلها مركز جذب للتجار والسلع والأنشطة الاقتصادية المختلفة[12].

وقد أدى هذا الموقع الوسيط إلى ازدهار الوظيفة التجارية للإقليم، وإلى تحوّل مدنه، وعلى رأسها طرابلس، إلى مراكز للتخزين والتوزيع وإعادة التصدير، حيث كانت السلع القادمة من الجنوب، مثل الذهب والعاج والعبيد وريش النعام، تُستبدل بالمنسوجات والمنتجات المصنعة القادمة من الشمال، مما خلق اقتصادًا قائمًا على الوساطة التجارية والتبادل الإقليمي[13] .

ثانيًا: أثر الموقع الساحلي في تنشيط التجارة البحرية

أسهم إشراف طرابلس على البحر المتوسط في تعزيز دورها بوصفها ميناءً تجاريًا نشطًا، خاصة في علاقتها بالمدن الإيطالية مثل جنوة والبندقية وصقلية، حيث نشطت حركة التبادل البحري، ودخلت إلى الإقليم سلع أجنبية، في مقابل تصدير المنتجات المحلية والزراعية والحرفي[14].

وقد جعل هذا الانفتاح البحري من الاقتصاد الطرابلسي اقتصادًا منفتحًا على المؤثرات الخارجية، يتأثر بتقلبات الأسواق المتوسطية، وبالأوضاع السياسية في الضفة الشمالية، مما يفسر فترات الازدهار المرتبطة باستقرار الملاحة، وفترات التراجع المرتبطة بالقرصنة أو الحروب البحرية.

ثالثًا: التنوع البيئي وأثره في تنوع الأنشطة الاقتصادية

جمع إقليم طرابلس بين بيئات طبيعية متعددة، شملت السهل الساحلي الخصيب، وسهل الجفارة الزراعي، والمجالات الرعوية الداخلية، والواحات، وهو ما أتاح قيام أنشطة اقتصادية متنوعة، شملت الزراعة والرعي والحرف والتجارة، وأسهم في خلق نوع من التكامل الاقتصادي بين المدينة والبادية[15] .

وقد أدى هذا التنوع إلى تقليل درجة الاعتماد على نشاط واحد، وجعل الاقتصاد الإقليمي أكثر مرونة في مواجهة الأزمات، إذ يمكن للزراعة أو الرعي أن يعوضا جزئيًا عن تراجع التجارة، أو العكس، بحسب الظروف المناخية أو السياسية.

رابعًا: الموقع الجغرافي بوصفه عامل جذب سكاني وتجاري

أسهم الموقع المتميز لإقليم طرابلس في جذب السكان والتجار والحرفيين من مختلف الجهات، مما أدى إلى نمو المدن وتوسع الأسواق وتعدد الحرف، وخلق دينامية اقتصادية واجتماعية نشطة، انعكست في كثرة الأسواق، وتنوع السلع، وازدهار الحرف والصناعات الصغيرة[16] .

يتبين مما سبق أن الموقع الجغرافي لإقليم طرابلس لم يكن مجرد إطار طبيعي، بل كان عنصرًا فاعلًا في تشكيل بنيته الاقتصادية، وتحديد وظائفه التجارية، وربط مجاله بمحيطه المتوسطي والصحراوي، وهو ما يفسر دوره التاريخي بوصفه مركزًا للتبادل والوساطة والاتصال الاقتصادي في العصر الوسيط.

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية والأمنية في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري وانعكاسها على الاقتصاد

لا يمكن فهم تطور النشاط الاقتصادي في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري بمعزل عن الأوضاع السياسية والأمنية التي سادت الإقليم في تلك المرحلة، إذ إن الاستقرار السياسي يمثل شرطًا أساسًا لازدهار التجارة وانتظام الإنتاج، في حين يؤدي الاضطراب والصراع إلى تراجع الأنشطة الاقتصادية، وخراب العمران، واضطراب الأسواق، وهجرة السكان. وقد عرف إقليم طرابلس خلال هذه الفترة تذبذبًا بين فترات استقرار نسبي في ظل الحكم الحفصي، وفترات اضطراب نتيجة الصراعات الداخلية والتهديدات الخارجية، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على أوضاعه الاقتصادية.

أولًا: الحكم الحفصي وأثره في الاستقرار الاقتصادي

خضع إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري لسلطة الدولة الحفصية، التي سعت في فترات قوتها إلى فرض الأمن وتنظيم الإدارة والجباية، وتشجيع النشاط التجاري، خاصة التجارة البحرية، باعتبارها مصدرًا مهمًا للدخل. وقد أدى هذا الاستقرار النسبي إلى ازدهار الأسواق، وانتعاش حركة الموانئ، وتوسع النشاط الزراعي والرعوي في محيط المدن[17] .

وقد اعتمدت الدولة الحفصية نظامًا ماليًا يقوم على الضرائب والمكوس والغنائم، مما وفر موارد مالية مكّنتها من حماية الطرق وتأمين المراسي، وهو ما أسهم في تعزيز الثقة لدى التجار، وتشجيع حركة التبادل الاقتصادي[18] .

ثانيًا: الاضطرابات الداخلية والهجرات القبلية

لم يكن الاستقرار دائمًا، إذ شهد الإقليم اضطرابات متكررة بسبب الصراعات بين الولاة، وتمرد بعض الزعامات المحلية، إضافة إلى الهجرات القبلية العربية التي أحدثت خللاً في البنية السكانية والعمرانية، وأدت في بعض الأحيان إلى خراب القرى، وهجرة الفلاحين، وتراجع النشاط الزراعي[19] .

وقد ترتب على هذه الاضـــطرابات ضـــعف ســـلطة الدولة في بعض الفترات، وتراجع قدرتها على حماية الطرق والأسواق، مما أدى إلى اضطراب حركة القوافل، وارتفاع تكاليف النقل، وتراجع حجم التبادل التجاري.

ثالثًا: التهديدات الخارجية والاعتداءات البحرية

تعرض إقليم طرابلس خلال العصـر الوسـيط لاعتداءات خارجية متكررة، خاصـة من القوى الصـليبية والنورمان والقرصـنة المتوسـطية، وهو ما أدى في بعض الفترات إلى نهب المدن السـاحلية، وتعطيل الملاحة البحرية، وتراجع التجارة الخارجية[20] .

وقد تركت هذه الاعتداءات آثارًا سـلبية على العمران والاقتصـاد، تمثلت في خراب بعض المرافق، وهجرة التجار، وانخفاض حجم المبادلات التجارية، خاصة البحرية منها.

رابعًا: الأمن والاستقرار بوصفهما شرطين لازدهار الاقتصاد

تؤكد التجربة التاريخية لإقليم طرابلس أن الأمن والاستقرار كانا شرطين أساسيين لازدهار النشاط الاقتصـادي، إذ كانت فترات الاستقرار تشـهد ازدهار الأسـواق، وانتعاش الزراعة والتجارة، في حين كانت فترات الاضـطراب تقترن بالخراب، وتراجع الإنتاج، وانقطاع الطرق، وهجرة السكان[21] .

يتضـح مما سبق أن الأوضـاع السياسية والأمنية لعبت دورًا حاسمًا في تشكيل مسار الاقتصـاد الطرابلسي خلال القرن الثامن الهجري، إذ كان الاسـتقرار السـياسـي عامل دفع للنشـاط الاقتصـادي، في حين مثّلت الاضـطرابات الداخلية والاعتداءات الخارجية عامل إعاقة وتراجع، وهو ما يبرز الترابط الوثيق بين السياسة والاقتصاد في تاريخ الإقليم.

المبحث الثاني: البنية الاقتصادية لإقليم طرابلس من خلال رحلة التجاني

تمثل رحلة التجاني مصـدرًا فريدًا لدراسـة الأوضـاع الاقتصـادية في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري، لما تتضمنه من وصف مباشر لمظاهر الحياة الاقتصادية، مثل أنماط الزراعة والرعي، والحرف والصناعات، والأسواق، وطرق القوافل، ومصـــادر المياه، والســـلع المتبادلة بين المدن والبوادي. وتكمن أهمية هذا المصـــدر في كونه ينقل صـــورة ميدانية واقعية عن الإقليم كما شاهده الرحالة بنفسه، بعيدًا عن الطابع الرسمي للمصادر السياسية أو الإدارية.

وقد أتاح هذا الوصـف الرحلي إعادة بناء صـورة أكثر تفصـيلًا للبنية الاقتصـادية الإقليمية، والكشـف عن طبيعة الأنشطة الإنتاجية، ومستوى التكامل بين المدينة والبادية، ومدى تأثير العوامل الطبيعية والسياسية في النشاط الاقتصادي. كما تسـمح قراءة رحلة التجاني قراءة تحليلية نقدية، وربطها بالمصـادر الجغرافية والتاريخية المعاصـرة لها، بالتحقق من دقة معطياتها، والكشف عن حدودها وإمكاناتها بوصفها مصدرًا تاريخيًا.

وعليه، يهدف هذا المبحث إلى تحليل مكونات البنية الاقتصـادية لإقليم طرابلس كما وردت في رحلة التجاني، من خلال الوقوف على الأنشـطة الإنتاجية الأسـاسـية، والموارد الطبيعية، ومصـادر المياه، وعوامل الإنتاج، تمهيدًا لفهم طبيعة الاقتصاد الإقليمي وآليات اشتغاله خلال العصر الوسيط.

المطلب الأول: الأنشطة الإنتاجية في إقليم طرابلس (الزراعة، الرعي، الحرف)

تُعد الأنشـــطة الإنتاجية الركيزة الأســـاســـية لأي بنية اقتصـــادية، إذ تقوم عليها عملية توفير الغذاء والمواد الخام والسلع اللازمة للحياة اليومية ولحركة التبادل التجاري. وقد قدّم التجاني في رحلته صورة غنية عن طبيعة الأنشطة الإنتاجية في إقليم طرابلس، شـملت الزراعة والرعي والحرف والصـناعات المحلية، بما يعكس تنوعًا اقتصـاديًا نسـبيًا مكّن الإقليم من تحقيق قدر من الاكتفاء الذاتي، ومن المشاركة في شبكات التبادل الإقليمي.

أولًا: النشاط الزراعي ومحاصيله الرئيسة

أشار التجاني إلى أن الزراعة كانت من الأنشطة المهمة في إقليم طرابلس، خاصة في السهول الخصبة والمناطق القريبة من مصادر المياه، حيث زرع السكان القمح والشعير والتمر والزيتون والفواكه المختلفة. وقد برزت بعض المناطق، مثل زنزور وصبراتة وزاوية أولاد سنان، بزراعة الزيتون والنخيل والتين والرمان، وهو ما يدل على وجود اقتصاد زراعي متنوع نسبيًا[22] .

كما تشير هذه المعطيات إلى أن الزراعة لم تكن مقتصرة على تلبية الحاجات المحلية فقط، بل كانت تنتج فائضًا في بعض المحاصيل، مثل الزيتون والحبوب، يوجَّه إلى الأسواق المحلية أو إلى التبادل الخارجي، خاصة في فترات الاستقرار والأمطار الجيدة.

ثانيًا: النشاط الرعوي وتربية الماشية

إلى جانب الزراعة، كان النشاط الرعوي حاضرًا بقوة في المجال الطرابلسي، خاصة في المناطق البدوية والسهول المفتوحة، حيث ربّى السكان الأغنام والماعز والإبل، واستفادوا منها في الغذاء والكساء والنقل. وقد أشار الجغرافيون إلى كثرة السائمة في هذه المناطق، وإلى دور الرعي في دعم الاقتصاد المحلي، وفي تغذية الصناعات المرتبطة به، مثل صناعة الصوف والجلود[23].

وقد مكّن هذا النشاط الرعوي من تحقيق نوع من التوازن مع النشاط الزراعي، خاصة في فترات الجفاف أو ضعف المحاصيل، مما جعل الاقتصاد الإقليمي أكثر قدرة على التكيف مع التقلبات البيئية.

ثالثًا: الحرف والصناعات المحلية

أشار التجاني وغيره من الرحالة إلى وجود عدد من الحرف والصناعات المحلية في إقليم طرابلس، مثل صناعة النسيج، ودباغة الجلود، وصناعة الأدوات الزراعية، والأواني، والدلاء، وبعض الصناعات الغذائية البسيطة. وقد اعتمدت هذه الصناعات على المواد الخام المحلية، مثل الصوف والجلود والزيوت، مما يدل على وجود علاقة تكاملية بين الإنتاج الأولي (الزراعة والرعي) والصناعة الحرفية[24] .

وقد ساعدت هذه الصناعات على تلبية حاجات السكان اليومية، وعلى توفير سلع للتبادل في الأسواق، مما عزز من حيوية النشاط الاقتصادي، وأسهم في تنويع مصادر الدخل.

يتضح مما سبق أن البنية الإنتاجية لإقليم طرابلس في عصر التجاني قامت على تنوع نسبي بين الزراعة والرعي والحرف، وهو ما مكّن الإقليم من تحقيق قدر من الاكتفاء الذاتي، ومن المشاركة الفاعلة في شبكات التبادل الاقتصادي، كما وفّر قاعدة مادية أساسية لازدهار التجارة والأسواق.

المطلب الثاني: الموارد الطبيعية ومصادر المياه وعلاقتها بالاستقرار الاقتصادي

تمثل الموارد الطبيعية، وفي مقدمتها المياه والتربة والنبات الطبيعي، الأساس المادي لأي نشاط اقتصادي، إذ تقوم عليها الزراعة والرعي والاستقرار البشري. وقد أولى التجاني في رحلته اهتمامًا خاصًا بوصف مصادر المياه والعيون والآبار والأودية، لما لها من دور مباشر في تحديد مواقع الاستيطان، وتوزيع القرى، وأنماط النشاط الزراعي والرعوي في إقليم طرابلس.

أولًا: مصادر المياه السطحية والجوفية

أشار التجاني إلى كثرة العيون والآبار في مناطق مختلفة من الإقليم، مثل عين فارة، وبئر الكنود، وعيون وادي الرمل، وغيرها، وقد وصف عذوبة مياهها وانتشارها، مما يدل على توفر موارد مائية سمحت بقيام الزراعة واستقرار القرى حولها[25] .

كما أشـــار إلى اعتماد الســكان على تخزين مياه الأمطار في المواجل والآبار داخل البيوت والمســـاجد، وهو ما يعكس قدرة المجتمع المحلي على التكيف مع التذبذب المناخي، وتأمين حاجاته من المياه في فترات الجفاف(26) .

ثانيًا: الأودية والواحات ودورها في النشاط الزراعي

شكّلت الأودية مثل وادي الرمل، والواحات المنتشرة في الإقليم، مجالات خصبة للزراعة وغراسة الأشجار، خاصة الزيتون والنخيل والفواكه، وقد وصــف التجاني كثافة الغطاء النباتي في بعض هذه المناطق، مما يدل على خصــوبة التربة وتوفر المياه(27) .

وقد أدى ذلك إلى نشوء قرى زراعية متخصصة في إنتاج محاصيل معينة، أسهمت في تموين المدن الكبرى، مثل طرابلس، بالغلال والمنتجات الزراعية.

ثالثًا: الموارد الطبيعية الأخرى وأهميتها الاقتصادية

إلى جانب المياه والتربة، أشـــار التجاني إلى وجود موارد طبيعية أخرى، مثل الســبخات الغنية بالملح، وخاصـــة سبخة أبي كماش، التي كانت تعد موردًا اقتصـاديًا مهمًا، إذ كان يُصـدَّر ملحها إلى الخارج، ويُستفاد منه في حفظ الأغذية وبعض الاستخدامات الطبية(28) .

كما اســتفاد السـكان من الغطاء النباتي الطبيعي، مثل نبات العشــر وغيره، في بعض الاســتخدامات الصــناعية البسيطة، مما يدل على استغلال الموارد الطبيعية في دعم الحياة الاقتصادية اليومية.

رابعًا: الموارد الطبيعية والاستقرار الاقتصادي

أسهم توفر الموارد الطبيعية في دعم الاستقرار البشري والاقتصادي، إذ سمح بقيام أنشطة إنتاجية مستقرة، ونشوء شبكات تموين بين القرى والمدن، وتقليل درجة الاعتماد على الاستيراد الخارجي في بعض السلع الأساسية. وفي المقابل، كانت فترات شح المياه أو تدهور الموارد تقترن غالبًا بالأزمات الاقتصادية والهجرات السكانية.

يتبين أن الموارد الطبيعية، وعلى رأسها المياه والتربة والملح والغطاء النباتي، لعبت دورًا حاسمًا في تشكيل البنية الاقتصـادية لإقليم طرابلس، وفي دعم الاسـتقرار الزراعي والبشـري، وفي تزويد الأسـواق بالمنتجات الأسـاسـية، مما يجعلها عنصرًا جوهريًا في فهم الاقتصاد الإقليمي في عصر التجاني.

المبحث الثالث: التجارة والأسواق وطرق القوافل في إقليم طرابلس

شكّلت التجارة العمود الفقري للاقتصـاد في إقليم طرابلس خلال العصـر الوسيط، نظرًا لموقعه الوسيط بين المجال المتوسـطي والمجال الصــحراوي، ولدوره بوصــفه معبرًا للقوافل البرية وميناءً للتجارة البحرية. وقد مثّلت الأسـواق، ومســالك القوافل، والموانئ والمراســي عناصــر مترابطة في تنظيم الحركة التجارية، وتوزيع الســلع، وربط الإقليم بشــبكات التبادل الإقليمية والدولية.

وقد قدّم التجاني في رحلته وصــفًا دقيقًا للأســواق ومواقيتها، ومســالك القوافل، وأنواع الســلع المتبادلة، والمراكز التجارية، مما يتيح إعادة بناء صــورة واضــحة لدينامية التجارة في الإقليم، وفهم دورها في دعم الاســتقرار الاقتصــادي والاجتماعي. ويهدف هذا المبحث إلى تحليل هذه العناصر من خلال مطلبين: الأول مخصص للأسواق والمراكز التجارية، والثاني لطرق القوافل والموانئ والمراسي.

المطلب الأول: الأسواق والمراكز التجارية ودورها في تنظيم التبادل الاقتصادي

مثّلت الأســـواق في إقليم طرابلس القلب النابض للحياة الاقتصـــادية، إذ كانت تمثل نقاط الالتقاء بين المنتجين والمستهلكين، وبين المدينة والبادية، وبين الداخل الساحلي والداخل الصحراوي. ولم تكن الأسواق مجرد أماكن للبيع والشراء،

بل كانت مؤسسات اقتصادية واجتماعية تنظّم حركة السلع، وتحدد الأسعار، وتربط بين مختلف الفاعلين الاقتصاديين، مما جعلها عنصرًا محوريًا في استقرار الاقتصاد الإقليمي.

أولًا: الأسواق الحضرية في مدينة طرابلس

أشار الجغرافيون إلى أن مدينة طرابلس كانت تضم أسواقًا متعددة ومتخصصة، تقع في محيط الجامع الأعظم وداخل الأسوار، مثل أسواق الفواكه، واللحوم، والمنسوجات، والحرف، وكانت هذه الأسواق دائمة النشاط، تؤمّها القوافل والتجار من مختلف الجهات، وهو ما يعكس حجم الحركة التجارية وكثافة التبادل الاقتصادي في المدينة[29] .

وقد أشار ابن حوقل إلى أن طرابلس كانت مدينة متقنة الأسواق، بها صناع وأمتعة تتجهز بها إلى كثير من الجهات، وهو ما يدل على أن الأسواق لم تكن مخصصة للاستهلاك المحلي فقط، بل كانت تؤدي وظيفة التصدير وإعادة التوزيع[30] .

ثانيًا: الأسواق الأسبوعية والموسمية في القرى والبوادي

إلى جانب الأسواق الحضرية، وُجدت أسواق أسبوعية وموسمية في القرى والمراكز الريفية، مثل سوق زنزور الذي كان يُقام يوم الجمعة، وتجتمع فيه العرب والبربر من الأقطار المتباعدة لبيع منتجاتهم من حبوب، وزيتون، وصوف، ومواشٍ، وصناعات يدوية[31] .

كما وُجدت أسواق موسمية مرتبطة بالمناسبات الدينية، مثل رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، والمولد النبوي، حيث كانت تقام تجمعات تجارية كبيرة في زاوية أولاد سنان وغيرها من المواضع، يجتمع فيها الناس للتجارة والزيارة في آن واحد، وهو ما يدل على تداخل البعدين الاقتصادي والاجتماعي في وظيفة السوق[32] .

ثالثًا: تخصص الأسواق وتنوع السلع

اتسمت الأسواق في إقليم طرابلس بدرجة من التخصص، فكان هناك أسواق مخصصة للغنم والمواشي، وأخرى للفواكه، وأخرى للمنسوجات والحرف، مما يدل على تطور نسبي في التنظيم التجاري، وعلى تنوع السلع المعروضة، بين منتجات زراعية ورعوية وصناعية ومستوردات خارجية[33] .

وقد ساعد هذا التخصص على تسهيل عملية التبادل، وتقليل تكاليف البحث عن السلع، وزيادة كفاءة السوق في أداء وظائفها الاقتصادية.

رابعًا: دور الأسواق في الربط بين المدينة والبادية

لعبت الأسواق دورًا أساسيًا في الربط بين المدينة والبادية، إذ كانت القرى والبوادي تمد المدن بالغلال والمواشي، بينما تزود المدن الريف بالسلع المصنعة والمستوردة، مما خلق شبكة تبادل تكاملية ساعدت على استقرار النظام الاقتصادي والاجتماعي في الإقليم.

يتضح أن الأسواق في إقليم طرابلس لم تكن مجرد فضاءات للبيع، بل كانت مؤسسات اقتصادية مركزية تنظّم حركة السلع، وتربط بين مختلف الفاعلين، وتؤدي دورًا محوريًا في استقرار الاقتصاد الإقليمي، وفي ربط الإقليم بمحيطه الداخلي والخارجي.

المطلب الثاني: طرق القوافل والموانئ والمراسي ودورها في ربط الإقليم بمحيطه

مثّلت طرق القوافل البرية والموانئ والمراسي البحرية البنية التحتية الأساسية للتجارة في إقليم طرابلس، إذ مكّنت من انتقال السلع والأشخاص والمعلومات بين الإقليم ومحيطه المتوسطي والصحراوي. وقد أسهم انتظام هذه الشبكات أو اضطرابها في تحديد مستوى ازدهار النشاط التجاري واستقراره.

أولًا: طرق القوافل الصحراوية والبرية

أشـــار التجاني إلى وجود شـــبكة من الطرق البرية التي تربط طرابلس ببلاد الســـودان ووســـط إفريقيا، تمر عبر الواحات والمراكز الداخلية، وكانت هذه الطرق تُســتخدم لنقل الذهب والعاج وريش النعام والعبيد، مقابل المنســوجات والمواد المصنعة القادمة من الشمال(34) .

وقد كانت هذه الطرق تخضـع لتأثير مباشـر من الأوضـاع الأمنية، فاسـتقرارها يعني ازدهار التجارة، واضـطرابها يعني تراجعها، وهو ما يعكس الترابط الوثيق بين الأمن والتجارة.(35)

ثانيًا: الموانئ والمراسي البحرية

شكّلت الموانئ والمراسـي عنصـرًا أساسـيًا في التجارة الخارجية لإقليم طرابلس، حيث كانت المراكب تصـطف في مرسى طرابلس لنقل البضائع إلى المدن المتوسطية، وقد وصف التجاني مرسى طرابلس بأنه واسع وحسن التنظيم، مما يدل على حيوية النشاط البحري(36) .

كما لعب مرســى رأس المخبز دورًا مهمًا بوصـفه نقطة اتصـال بحرية وتجارية وأمنية، وهو ما يبرز تعدد المرافق البحرية في خدمة الاقتصاد(37) .

ثالثًا: الربط بين الشبكتين البرية والبحرية

تميّز إقليم طرابلس بكونه نقطة التقاء بين الشبكة البرية الصـحراوية والشبكة البحرية المتوسطية، مما جعله مركز عبور وتبادل للسلع، وأكسبه وظيفة اقتصادية وسيطة ذات أهمية استراتيجية في شبكة التجارة الإقليمية والدولية.(38)

يتضـح أن طرق القوافل والموانئ والمراسـي كانت بمثابة الشـرايين التي تغذي الاقتصـاد الطرابلسـي، وأن انتظامها أسـهم في ازدهار التجارة واسـتقرار الأسـواق، بينما أدى اضـطرابها إلى تراجع النشـاط الاقتصـادي، وهو ما يبرز دور البنية التحتية في تشكيل مسار الاقتصاد الإقليمي.

الخاتمة :

سـعت هذه الدراسـة إلى تحليل الأوضـاع الاقتصـادية في إقليم طرابلس خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشـر الميلادي من خلال قراءة تحليلية نقدية لرحلة التجاني، وربط معطياتها بالمصادر الجغرافية والتاريخية المعاصرة لها، بهدف إعادة بناء صورة متكاملة للبنية الاقتصادية الإقليمية في سياقها التاريخي والجغرافي.

وقد بيّنت الدراســة أن إقليم طرابلس تمتع بموقع جغرافي اســتراتيجي جعله حلقة وصــل بين المجال المتوســطي والمجال الصحراوي، وأسهم في تحويله إلى مركز تجاري نشط يعتمد على التجارة البرية والبحرية معًا. كما أظهرت أن البنية الاقتصادية للإقليم لم تكن قائمة على التجارة وحدها، بل قامت على تنوع نسبي في الأنشطة الإنتاجية شمل الزراعة والرعي والحرف، مدعومة بوفرة نسبية في الموارد الطبيعية، خاصة المياه والأراضي الزراعية والسبخات الغنية بالملح.

كما أبرزت الدراســة الدور المحوري للأســواق، وطرق القوافل، والموانئ والمراســي في تنظيم التبادل الاقتصــادي وربط الإقليم بشبكات التجارة الإقليمية والدولية، وأظهرت كيف كان استقرار هذه الشبكات أو اضطرابها مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالأوضـاع السياسية والأمنية. وقد أكدت النتائج أن الاستقرار السياسي كان شرطًا أساسيًا لازدهار النشاط الاقتصادي، في حين أن فترات الاضطراب والاعتداءات الخارجية أدت إلى تراجع التجارة وخراب العمران وهجرة السكان.

وأخيرًا، أكدت الدراسة أن رحلة التجاني تمثل مصـدرًا تاريخيًا واقتصـاديًا بالغ الأهمية لفهم تاريخ إقليم طرابلس في العصـر الوسـيط، لما تقدمه من وصـف ميداني غني، إلا أن هذا المصـدر يحتاج دائمًا إلى قراءة نقدية ومقارنة بمصـادر أخرى، لتجاوز محدوديته الزمنية والمكانية، والوصـول إلى صـورة أكثر توازنًا وموضـوعية عن الواقع الاقتصـادي في تلك المرحلة.

نتائج الدراسة

1. تبيّن أن الموقع الجغرافي لإقليم طرابلس كان عاملًا حاسمًا في تشكيل بنيته الاقتصادية، إذ أسهم موقعه الوسيط بين البحر المتوسط والصحراء الكبرى في تحويله إلى مركز عبور وتبادل تجاري بين الشمال والجنوب.
2. كشفت الدراسة أن الاقتصاد الطرابلسي في القرن الثامن الهجري لم يكن اقتصادًا تجاريًا صرفًا، بل قام على تنوع نسبي في الأنشطة الإنتاجية شمل الزراعة والرعي والحرف والصناعات المحلية، مما وفّر قاعدة مادية داعمة لحركة التجارة.
3. أظهرت نتائج التحليل أن الموارد الطبيعية، وخاصة مصادر المياه والأراضي الزراعية والسبخات الغنية بالملح، لعبت دورًا محوريًا في دعم الاستقرار الاقتصادي والاستيطان البشري في الإقليم.
4. تبيّن أن الأسواق، سواء الحضرية أو الأسبوعية والموسمية، كانت مؤسسات اقتصادية منظمة أدّت دورًا مركزيًا في تنظيم التبادل، وربط المدينة بالبادية، وتوزيع السلع بين مختلف مناطق الإقليم.
5. أثبتت الدراسة أن طرق القوافل البرية والموانئ والمراسي البحرية شكّلت البنية التحتية الأساسية للتجارة، وأن انتظامها كان مرتبطًا بازدهار النشاط الاقتصادي، في حين أدى اضطرابها إلى تراجع التجارة وتدهور الأسواق.
6. أظهرت النتائج وجود علاقة وثيقة بين الاستقرار السياسي والأمني من جهة، واستقرار النشاط الاقتصادي من جهة أخرى، حيث كانت فترات الاستقرار تشهد ازدهارًا اقتصاديًا، بينما ارتبطت فترات الاضطراب بالحروب والخراب وهجرة السكان وتراجع الإنتاج.
7. بيّنت الدراسة أن رحلة التجاني تمثل مصدرًا بالغ الأهمية لدراسة التاريخ الاقتصادي لإقليم طرابلس، لما تقدمه من معطيات وصفية دقيقة، لكنها تحتاج إلى قراءة نقدية ومقارنة بمصادر أخرى لتجاوز محدوديتها الزمنية والمكانية.

هوامش البحث:

---

(1) البكري، أبو عبيد الله، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، ص7؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995م، ج1، ص228.

(2) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، مطبعة بريل، 1892م، ص45؛ الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، إسبانيا، 1983م، ج1، ص22.

(3) التجاني، عبدالله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، 1981م، ص207.

(4) حسن حسني عبدالوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، مكتبة المنار، 1973م، ص198؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص383.

(5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، ج6، ص403؛ ممدوح حسين، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، دار عمار، عمان، 1998م، ص481.

(6) علي سميو، «التجارة والأسواق في إقليمي برقة وطرابلس»، مجلة كلية الآداب الخمس، العدد الأول، ص181؛ محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، شركة أوريس للطباعة، 1999م، ص89.

(7) حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992م، ص431.

(8) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، مرجع سابق، ص383.

(9) التجاني، رحلة التجاني، مصدر سابق، ص207–216.

(10) حسن حسني عبدالوهاب، مقدمة رحلة التجاني، مرجع سابق، ص200.

(11) البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص65؛ ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص71؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص22؛ ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص403.

(12) اليعقوبي، كتاب البلدان، مصدر سابق، ص45؛ ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر سابق، ص71.

(13) البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص65؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص22.

(14) مانغروني كامبللو، العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا، ترجمة إبراهيم أحمد المهدوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1992م، ص43.

(15) محمد ناجي؛ محمد نوري، طرابلس الغرب، ترجمة إكمال الدين إحسان وآخرين، مكتبة الفكر، طرابلس، 1971م، ص17؛ حسن حسني عبدالوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، مصدر سابق، ص322.

(16) علي سميو، مرجع سابق، ص181.

(17) ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص468؛ محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص150.

(18) ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص606.

(19) ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص599.

(20) مانغروني كامبللو، العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا، مرجع سابق، ص43.

(21) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص237.

(22) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص207–216؛ حسن حسني عبدالوهاب، مقدمة رحلة التجاني، مرجع سابق، ص200.

(23) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص207–213؛ البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص65.

(24) البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص5؛ حسن حسني عبدالوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، مصدر سابق، ص465.

(25) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص215–216؛ علي سميو، مرجع سابق، ص181.

(26) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص207، 210، 214.

(27) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص215.

(28) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص210–213.

(29) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص246.

(30) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص215–225؛ علي سميو، مرجع سابق، ص181.

(31) الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص22؛ البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص65.

(32) ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر سابق، ص71.

(33) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص215–216.

(34) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص225.

(35) علي سميو، مرجع سابق، ص181.

(36) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص214؛ البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص65.

(37) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص246.

(38) التجاني، الرحلة، مصدر سابق، ص237.